رمزية اللون في قصة «في صالة الانتظار» للقاصة السعودية سهام العريشي

أ.د. عبد القوي محمد أحمد الحصيني*
خالد عبد الواحد محمد العركي**

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة رمزية اللون في قصة «في صالة الانتظار» للقاصة السعودية سهام العريشي، باعتبار رمزية اللون من أهم عناصر القصة وتقنياتها المولدة للدلالة، متطرقًا إلى أبرز الألوان التي وظفتها القصة في حيزها؛ لتعميق المشاعر النفسية، وكشف سيكولوجية بطلة القصة، وتكثيف ملامح سائر الشخصيات وما تعكسه من ظلال.

وقد جاء البحث في تمهيد ومبحثين، تطرق التمهيد إلى تحديد ماهية الرمز، وأهميته في تكثيف دلالة النصوص، وكذلك الدلالات الرمزية للألوان ووظيفتها، وتطرق المبحث الأول للدلالة الرمزية للألوان في القصة المدروسة، متناولا أهم الألوان الواردة فيها محاولًا استكشاف أبرز دلالاتها، في حين تطرق المبحث الثاني لعرض "للوحات" التي تم تشكيلها في إطار هذه القصة، وأسهمت في رسم ملامح الشخصية المحورية والشخصيات المساعدة مثل: "الأخ – حارس أمن المطار – الطبيب – الممرضة... إلخ".

* أستاذ الأدب والنقد في قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة جازان– المملكة العربية السعودية.

** طالب ماجستير دراسات أدبية ونقدية - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة جازان– المملكة العربية السعودية.

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

Symbolism of color in the story (In the Waiting Lounge) for Saudi narrator Seham Arishi

Dr. Abdulqawy Mohammed Ahmed Alhusseini

Khalid Abdulwahed Mohammed Alarki

Abstract:

This research seeks to study the symbolism of color in the story *'In the Waiting Lounge*' of the Saudi storyteller Siham Arishi, considering the symbolism of color as one of the most important elements of the story and its techniques of connotation, touching on the most prominent colors used in the story in its space; features of other characters and their shades.

The research was divided into a preamble and two searches. The preamble presents the being of symbolism and its importance in texts' meanings and the colors' symbolism and functions. The first search explores the colors' indication in the studied story. The second search discusses the 'paintings' that were formed within the framework of this story, and its contributions in drawing the features of the central characters and the sub-characters such as, the Brother, the Airport Security Guard, the Doctor, the Nurse, etc".

تمهيد:

يعرف الرمز لغةً بأنه: «كل إشارة أو علامة محسوسة تُذكّر بشيء غير حاضر، من ذلك: العَلَم رمز للوطن، الكلب رمز للوفاء، الحمامة البيضاء رمز البراءة، الهلال رمز للسلام، الصليب رمز المسيحية، الأرز رمز لبنان»[(1)].

أما الرمز أدبيًّا فهو: الإشارة بكلمة تدل على محسوس أو غير محسوس، وتشير إلى معنى يختلف بحسب خيال الأديب، وقد يتفاوت القراء في فهمه وإدراك مداه بمقدار ثقافتهم، ورهافة

حسهم، فيتبين بعضهم جانبًا منه، وآخرون جانبًا ثانيًا، أو قد يبرز للعيان فيهتدي إليه المثقف بيسر، من ذلك أن الشاعر يرمز إلى الموت بتهافت أوراق الشجر في الخريف، ويرمز إلى الإحساس بالقلق والكآبة بقطرات المطر المتساقطة على زجاج نافذته في رتابة مضنية[2].

وقد حاول كثير من كتاب السرد الهروب من أسلوب الواقعية النقدية؛ ليرقى سردهم إلى درجة عالية من الشعرية عبر الرمز والتشخيص والتكثيف الدلالي، مما منح القصة قدرًا كبيرًا من حرية التأويل لدى المتلقي[3]. وقد «قيل الكثير جدًّا عن أهمية الترميز في الإبداع، ومما قيل إن المبدع الحقيقي، المبدع الكبير، هو ذلك الذي يستطيع أن يغلّف رؤاه ويجعل القارئ المتمرس يشعر باللذة والإثارة وهو يختطف المخفي من النص الأدبي، ولن يستطيع المبدع ذلك إلا من خلال استعمال الرموز، التي من شأنها أن تحرر لغته من سطوة المعنى الخارجي، وأن تمنحه بُعدًا يبدو للبعض خفيًّا وللبعض الآخر جليًّا، وهذا البعد يتمثل في الرمز الذي لم يصل الإبداع إليه إلا بعد تأمل طويل ووقفة مع الأعمال الإبداعية العظيمة، بتجلياتها وما تحمله من أبعاد وتأويلات، وقد كان للأساطير التي دخلت عالم الرؤى المتناقضة دورٌ لا يُنكر في العثور على هذا المستوى من الكتابة الرامزة»[4].

وإذا كان على المبدع أن يحفر عميقًا في داخله بحثًا عن نص أدبي يشغله ويؤرقه، فإن القارئ المتمرس مطالب بأن يحفر عميقًا في داخل هذا النص المنجز، النص القائم على مرتكزين اثنين: الظاهر والباطن، والظاهر في حالة فن السرد هو ما يقدمه القاص من حكاية تدور حول الدلالة المباشرة لحادثة ما أو شخصيات ما، وعلى العكس من ذلك؛ الباطن هو الذي يفتح النص على ما هو أعمق وأغنى في الدلالة غير المباشرة، وهو بمكوناته الأسلوبية يستحضر المعنى البعيد، المعنى الموازي والمتخيل[5]، ويأتي اللون من بين أهم العناصر التي قد تؤدي دلالات رمزية مكثفة في الخطابات الأدبية عامة، والخطابات السردية منها على وجه الخصوص، وللألوان دلالاتها المتعددة التي لا تقف عند مستوى الدلالات المباشرة، بل تتجاوزها إلى ما هو ثقافي ونفسي واجتماعي مركب، وهو ما سنعاينه في الدلالة الرمزية للألوان، على النحو الآتي:

الدلالة الرمزية للألوان:

لا تقتصر الدلالة الرمزية للون لدى النابهين من النقاد على الأثر الظاهري، بل تتعداه إلى ما وراء ذلك من آثار نفسية تتجاوز سطح الألوان[6]، حتى «أننا يمكن أن نعرف الشيء الكثير عن الشخصية السردية أو حتى شخصية الروائي نفسه، عن طريق تتبع الإيحاءات النفسية التي يولدها المعجم اللوني»[7].

ويتيح تناول دلالة الألوان في هذه الدوائر جملة من الإيحاءات للنص السردي؛ إذ تتعدى دلالة اللون نطاقها الوضعي المطابق إلى ما هو أعم، فتتسع بذلك دائرة اللون للتفسيرات والتأويلات بحسب تباين ردود أفعال المتلقين وتقديراتهم[8].

وقد أعطى كثير من الديانات للألوان قيمة خاصة، ووضعت لها دلالات رمزية، ومنها ما ربط بعض الممارسات الدينية بألوان خاصة: فالأصفر لون مقدس ليس فقط في الصين والهند، بل وفي المسيحية الأوربية، واستعملت الكنيسة اللون الأصفر في اللوحات المقدسة في شكل خلفيات من أوراق الشجر الذهبية، ولارتباط اللون الأصفر بالشمس والضوء استعمله المصريون رمزًا لإله الشمس (رع). ولعل معنى الصفاء والنقاوة هو المقصود في اختيار اللون الأبيض عند المسلمين لباسًا أثناء الحج والعمرة، وكفنًا للميت، وقد استعمل القران الكريم بياض الوجه يوم القيامة رمزًا للفوز في الآخرة نتيجة العمل الصالح في الدنيا، وذلك في قوله تعالى: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ»، (آل عمران،آية 106).

وحين يوظف الكاتب الألوان فإنه لا يأتي بها بشكل عشوائي، بل يختار منها ما يناسب سياق القصة، ومقصديتها الكلية، كما يقوم الكاتب بتنسيق الألوان في علاقة هادفة مع عناصر القص، فالكاتب حين يختار لونًا معينًا لكي يلون به شخصية ما داخل عمله الروائي يكون هدفه من ذلك تقريب الشخصية من الواقع[9]. ولذا فقد أقحمت السرديات اللون، وجعلت منه عنصرًا مهمًّا في مسار حركة السرد، فهو الكاشف عن خفايا اللغة ونفسية الكاتب والواقع المعيش[10].

وكما وظف السرد اللونَ في رسم ملامح الشخصيات ونفسياتها وأبعادها الخارجية فقد وظف أيضًا الألوان في رسم ملامح المكان وتوظيفه في خدمة الدلالات التي تهدف إليها القصة.

وتأسيسًا على ما سبق؛ فإن عناية هذا البحث ستتجه إلى مكونات الخطاب القصصي للكاتبة "سهام العريشي"[*]؛ «لاستخراج بنيات لونية تتجاوز الدلالة المباشرة التي تقف عند حدود المعنى السطحي للجملة، الأمر الذي يدفع إلى إقامة تحليل متكامل ومفتوح على خطابات عديدة يتم الربط بينها بوساطة العلامة اللونية»[11]. وسيقوم بدراسة رمزية اللون في القصة الموسومة بـ«في صالة الانتظار»، المنشورة في المجموعة القصصية: «تشبه رائحة أمي.. تشبه شجر الجنة» للقاصة "سهام العريشي"، التي تمتاز بأنها أكثر قصص المجموعة استعمالا لتقنية الألوان، وهي بذلك تدل على اهتمام الكاتبة بتقنية الرسم والتلوين الفنيين، كما أنها تعكس «عمق الخبرة وكثافة التّجربة... التي تصنع للّون رمزه وبعده الدّلالي وقيمته السّيميائية»[12]، على اعتبار «أن دفء اللون كدفء الإيقاع، كدفء المعنى، كلها تخلق في العمل الفني طاقة خاصة، وتؤسس صورة جديدة وجميلة»[13]، وهو ما ستتضح جماليته في سياق دراستنا لهذا البحث التي ستتحدد في مسارين هما: الدلالة الرمزية للألوان، والدلالة الرمزية للوحات اللونية، على النحو الآتي:

أولا: الدلالة الرمزية للألوان في قصة «في صالة الانتظار»

سيقف البحث على جملةٍ من الدلالات الرمزية للألوان التي اشتغلت عليها قصة «في صالة الانتظار» لسهام العريشي، مجلّيًا قصدية القاصة في استعمال الألوان سواءً اللون الأسود برمزيته المضادة، أو دلالات اللون الأبيض الرمزية التي استعملتها في دلالاتها الضدية أيضا، أو في توظيفها للون الأحمر في توتير مشهد القص، وهكذا في بقية الألوان، وقد تعاملت القاصة مع الألوان في إطار تقنيات متعددة، على النحو الآتي:

أ - الدلالة الرمزية للون الأسود وما شابهه

يعتبر اللون الأسود من أكثر الألوان شيوعًا في الواقع، أضف إلى ذلك اكتسابه دلالات رمزية قوية لم تغفل عنها القاصة، حيث وظفتها بمهارة لتبرز تجربتها في هذه القصة. كما أن للون

الأسود «سطوته في النص الروائي السعودي فهو مشبع بدلالات مختلفة موجبة وسالبة، والأسود السالب هو نقيض الأبيض في كل خصائصه، ويمثل الظلام الكامل وانعدام الرؤية، ويعد رمزًا للألم والموت والحزن والخوف من المجهول والعدمية والفناء»[14].

إن «سيطرة اللون الأسود تدل على عمق الألم والحزن»[15]، وقد استعملته القاصة لتحقيق جملة من الوظائف في قصة (في صالة الانتظار) فهي ترمز باللون الأسمر إلى سمة من سمات الشخصية الطفلة/البطلة، وهي الفقر والحرمان من الدلال والرفاهية، تقول: «يطل وجهك الصغير بلفحته السمراء وبثور داكنة»[16].

كما ترمز باللون الأسود إلى الافتتان والجمال، فتقول: «إن (مقلمة) سوداء صغيرة كافية تماما لأن تتدلى إلى أسفل ظهرك.. ويتدلى معها وخلفها العالم بأكمله»[17]. وفي مشهد آخر تقول: «تسألين نفسك: لماذا بطنه أكبر من مقاس حزامه الأسود الأنيق؟»[18]. وتصور احتفاظ الشكل الجسدي برونقه عبر اللون الأسود بقولها: «عباءتك أيضًا لم تتغير.. ولا حذاؤك.. ولا شعرك الأسود بلمعة الزيت على أطرافه»[19]، ثم تصف العباءة بأنها «...تبرق أسودَ وكريستالًا»[20].

وفي صورة أخرى ترمز به إلى ما لدى شخصية البطلة من الشعور المتردد بين الخوف من رجل الأمن والثقة به، فتقول: «فيما أنت تلقين بنظرة ساهمة إلى اللمعة السوداء على حذاء رجل الأمن بجانبك»[21].

وترمز به في موقف آخر إلى المفارقة بين طبيعة هذا اللون الدال على الاختفاء والستر، وما يتسبب به من الشهرة والظهور ونيل الجوائز في تعبير ساخر عن احتفاء المجتمع بالسواد، فتقول: «تتذكرين معلمتك في الصف الأول الابتدائي وهي تحدثكم كثيرًا عن العباءة.. وعن جائزة لا تُنال إلا بالسواد.. وعن اسم سيصدح به في إذاعة الصباح»[22]. كما ترمز به إلى الاكتئاب والضجر الذي يرافق سواد الليل، فتقول: «تهوين بعيدًا في ليلٍ مظلم يرتدي قفازين أسودين يضغط بهما على جانب معدتك..»[23].

وفي هذه الاستعمالات كلها تتضح سيطرة اللون الأسود على معظم مشاهد السردية ابتداءً من لحظة الوصول إلى المطار، إلى لحظة المغادرة منه، مرورًا بمختلف عناصر التشكيل لهذا اللون:

(بشرة الطفلة السمراء – مقلمتها السوداء - الحزام الأسود – الحذاء الأسود - جائزة لا تنال إلى بالسواد – قفازين أسودين – اللمعة السوداء –عباءة المرأة التي تبرق أسود وكريستالًا.....).

إن الدلالات المحمولة لهذه الاستعمالات اللونية تحيل إلى مراجع تداولية وأنساق ثقافية واجتماعية تظهر تجليات هذا التوظيف للون الأسود في مشاهد الحكاية.

ب- الدلالات الرمزية للون الأبيض وما يقاربه

يُعد اللون الأبيض من الألوان المحايدة، وهو مضاد للون الأسود ومزاوج له، وسيادته في السردية تتوازى مع سيادة اللون الأسود، وتمتد ترددداته في الفضاء المشهدي للسردية ابتداءً وانتهاءً، و"يشكل اللون الأبيض بأشكاله الأساسية والثانوية مساحة واسعة في النماذج المدروسة، تتعدد صورها الإيجابية والسلبية، فقد عده البعض من الألوان الباردة التي تبعث الهدوء والطمأنينة والاسترخاء، وتزيد من الحجم الظاهري للأشياء، واللون الأبيض هو رمز الطهارة والنقاء والصدق والسلام، ومن جهة ثانية هو رمز الضعف والمرض والعجز، وقد يكون رمزًا للكآبة والحزن»[24].

وتستعمل القاصة اللون الأبيض رمزًا جماليًّا، متجسدًا أحيانًا في هيئة أزياء مبهجة ومؤنسة، وأحيانًا في هيئة أزياء منفرة للنفس وموحشة، فـ«السياق وحده هو الذي يحدد وظيفة اللون وفاعليته»[25].

فمن حالات تجسد اللون الأبيض في هيئة أزياء مؤنسة ومرغوبة قولها عن زي الشخصية/ الرجل: «يقف هو بقبعته الرياضية البيضاء، ببدلته البيضاء الباهتة»[26]، وتقول عن زي الشخصية/المرأة: «تلمع خصلات شعرك الملفوفة إلى أسفل رقبتك بربطة بيضاء لا أتبين نهايتها..»[27]، «لا تلبسين تنورة جينز قصيرة وشرابًا أبيضًا إلى أعلى فخذيك»[28]، «تناديك أمك إلى باص المدرسة وتركضين بمريولك السماوي المنقط بياضًا إلى السماء»[29].

ومن حالات تجسد اللون الأبيض في هيئات مناقضة لإيحاءاته وطبيعته الإيجابية؛ زي الممرضات والأطباء، وتدرج لون الدم عند سحبه من الجسد، تقول: «لكن الممرضة الفلبينية بملابسها البيضاء وكمامة على فمها وبإبرة حادة تخرج فجأة من جيب مريولك..»[30]، «يسألك الطبيب وهو يرتدي قفازه الأبيض.. والممرضة تناوله مقصًا صغيرًا بُلل القطن فيه بالمطهر..»[31]، «كانت إبرة حقيقية من زجاج ودم، تتأملين دمك يصعد في أنبوب بلاستيكي، وسيتلون الحيز تدرجيًا بالأبيض والوردي والأحمر القاني ثم يمتلئ الأنبوب كله بالدم»[32].

إن هذا التدرج اللوني يكشف ما يطال بنية النص من درجات الانفعال والتدفق العاطفي تبعًا لدرجة حرارة اللون أو درجة هدوئه أو صخبه، الأمر الذي يجعل اللون يتحول بتحول الحدث؛ ليؤدي وظيفة مختلفة في كل نص[33]. إن هذا البياض يُقرأ باعتباره إستراتيجية اتخذها الكاتب ليؤسس لفضاء سردي يكتسحه بياض مريض، وعندها يصبح البياض عنوانًا للفقد والفناء أو ما يتوقع أن يصير إلى ذلك، فاللون الأبيض وهو لون المرض والموت يتجسد في الجثث المغطاة بأقمشة بيضاء في المشفى[34].

كما تستعمل الكاتبة فعل البياض للدلالة على جمال الطبيعة المستمد من جمال نفس الإنسان، تقول: «ضحكتها وهي تسيل على أرضية المطار الذي يتسع ويبيض كالسحاب»[35]، فالألوان الفاتحة الهادئة «تمنح المكان انطباعًا يختلف عن الألوان القاتمة، وقد يكون المكان مسهبًا في تفصيلاته اللونية ليمنح القارئ إحساسًا بالصدق»[36].

فالقاصة -إذن-تتفاعل مع الطبيعة كما يفعل الفنان، وهي بذلك تبث في البنية السردية تعبيرات لونية ذات تأثير من حيث الميل إلى الاطمئنان والهدوء، أو الإيحاء بالرعب والخوف على نحو يناسب حالة الانفعال المصاحبة للون[37].

وعلى النسق ذاته؛ تستعمل القاصة اللون الفضي ذا الخاصية الجمالية الآسرة للإنسان عمومًا، وللمرأة خصوصًا، تقول: «وهي تعلق على صدرك سلسالًا فضّيًا يحمل باللغة الإنجليزية أول حرف من حروف اسمك»[38]، «تقبضين على سلسالك الفضي على صدرك»[39].

ج - الدلالات الرمزية للون الأحمر وما يقاربه

إذا نظرنا إلى اللون الأحمر على وجه العموم؛ فسنجده يمثل «ثنائيات متضادة، الطرف السالب منها هو الموت والهزيمة والدمار والثأر، وأما الطرف الموجب فيرتبط بالتضحية والفداء والخصوبة والتجدد والحياة؛ ذلك أن الأحاسيس التي يثيرها اللون الأحمر هي أحاسيس مركبة منها الخيالي، ومنها الواقعي، ومنها الشبقي ومنها الثوري»[40].

وتستعمل القاصة اللون الأحمر رمزًا للشيء النافع الثقيل على النفس، تقول: «كانت إبرة حقيقية من زجاج ودم، تتأملين دمك يصعد في أنبوب بلاستيكي وسيتلون الحيز تدرجيًا بالأبيض والوردي والأحمر القاني ثم يمتلئ الأنبوب كله بالدم»[41]، وقد أجرى علماء النفس تجارب أثبتوا بها أن اللون الأحمر يثير الإحساس بالغزو والهجوم والثأر، ويخلق نوعًا من التوتر العضلي،كما أثبتوا أنه مثير للمخ ويحمل خواص العدوانية[42].وتستعمل القاصة اللونين البنفسجي والأصفر للدلالة على الذائقة الفنية للبطلة، تقول:«ولا تنتعلين حذاءً ليمونيًا؛ لأن بلوزتك البنفسجية منقطة بالأصفر»[43]. وتشير باللون الوردي إلى جمال أنوثة البطلة، تقول: «حاملًا كيسين صغيرين تقول الألوان الوردية فيه أنه لكِ»[44].

د - الدلالة الرمزية للون السماوي

اللون الأزرق مصدره الطبيعي «السماء والماء»[45]بدلالة الاتساع والامتداد التي تكتسح مشاعر البطلة. كما تشير القاصة باللون السماوي إلى حيوية البطلة وذائقتها الفنية الرفيعة في الملبس، تقول: «تناديك أمك إلى باص المدرسة وتركضين بمريولك السماوي المنقط بياضًا إلى السماء»[46]، هذا الرسم اللوني لملبس الطفلة "البطلة" يعكس صورة للحالة السابقة التي كانت تعيشها الطفلة قبل إجراء العملية، حيث باص المدرسة والركض بالمريول السماوي المنقط بالبياض الذي يعطي مزيدًا من البهاء والأناقة لتلك الطفلة، ويشكل معادلًا موضوعيًّا للوضع النفسي والحالة الصحية التي كانت تتمتع بها قبل التبرع بإحدى كليتها، في مقابل المشهد الذي رُسم للطفلة بعد إجراء العملية التي سلبت فيه من هذه الحيوية والحركة والنشاط.

من مجمل ما سبق من تحليل الدلالات الرمزية للألوان عند القاصة "سهام العريشي" في قصة (في صالة الانتظار)؛ يتضح ثراء الترميز اللوني لديها في إطارين: الأول الكثافة اللونية، والثاني التوزيع، ففي الأول حشدت الألوان متنوعةً بتنوع ما تريد الترميز إليه، وفي الثاني استطاعت أن توزع هذه الألوان حسب مقتضى سير الحدث ومتطلب رسم ملامح المكان أو عكس دلالة الألوان على الشخصيات القصصية.

وكما وظفت القاصة فسيفساء الألوان واستخدمتها بطريقة احترافية وابتدعت دلالات رمزية لها انطلقت فيها من رؤيتها الخاصة، حيث تمكنت من توظيف اللون الواحد في رسم مشاهد متناقضة.

ثانيا : الدلالة الرمزية للوحات اللونية في قصة(في صالة الانتظار)

تتشكل في قصة (في صالة الانتظار) فسيفساء لونية تحوي على (29) مفردة لونية بتكرارات معينة، تتجلى فيها ريشة رسامة تحسن استعمال الألوان ومزجها والترميز بها إلى أبعاد متعددة: نفسية، واجتماعية، وسيتم هنا «التنقيب عن العلاقات التي تربط دلالات اللون بعناصر السرد التي يتداخل معها اللون باستمرار»[47].

فعلى سبيل المثال تستعمل القاصة اللون معادلًا موضوعيًّا تضفي عليه مشاعرها بهدف إيصالها إلى المتلقي، على نحو ما فعلت في تصوير الحالة الشعورية للطفلة "أشواق" ومجريات قصتها مع أخيها "ماجد"، ويمكن إيضاح ذلك بالآتي:

اللوحة اللونية الأولى:

هي (أشواق): (وجه أسمر - بُثور داكنة–ربطة شعر بيضاء = الدلالة على المستوى العادي للطبقة الاجتماعية للفتاة).

هو(ماجد): (قبعة بيضاء – بدلته البيضاء الباهتة = الدلالة على مستواه العادي أيضًا، فالبياض هنا يتماشى مع غياب اللون المبهرج والصارخ).

هي/هو: (الكيس ذو الألوان الوردية للطفلة تساوي رمزًا لامتلاك الأخ لأجمل الألوان الأنثوية التي تليق بأخته، ويشير إلى ما سينتزعه منها من أجمل مكون لصحتها/إحدى كليتها).

فها هنا أحسنت القاصة اختيار الألوان من الناحيتين الجمالية والنفسية لكلا الشخصيتين، وجعلت لكل منهما ما يليق به منها، بحيث «تبرز خاصية المظهر اللوني، وكلنا يعرف أن تغير نسبة الضوء وانعكاساته هي مصدر إلهام للكاتب، ومن هنا تبرز أهمية الألوان التي تثير الشعور وتُدخل عامل الإحساس بالطبيعة في السرد الروائي»(48).

اللوحة اللونية الثانية:

لنتأمل اللوحة اللونية الآتية التي ترسم المتناقضين: "الواقع والحلم"، وكيف تعمق تفاصيل المستوى الاجتماعي للطفلة (أشواق) وأخيها (ماجد):

الواقع:

هي: (تتأمل الحذاء الأسود لرجل الأمن – حذاؤها الأسود الذي لا يغطي أصابع قدميها=اللون يعكس المستوى الاجتماعي والحالة النفسية التي تحسس بالفارق بين حذاء رجل الأمن وحذائها مع أن الحذاءين أسودان).

الحلم وتيار الوعي:

(تحلم بالأطفال المصبوغين بالفرح وعدم تمكنها من اللعب معهم، وأيضًايمنع اقترابها من أولئك الأطفال الملونة ابتسامتهم = المقابلة بين هؤلاء الأطفال المرحين الفرحين، واللون هنا معنوي تجريدي صبغ الفرحة ولون الابتسامة بالمستوى الحياتي للأطفال السعداء والأسوياء الذين تتوفر لهم وسائل الدعة والراحة).

هي: (بعباءتها السوداء =رمز لثقافة سائدة حول لبس السواد باعتباره نسقا اجتماعيا،وينصرف في الوقت ذاته إلى بساطة الزي المتوفر لهذه الطالبة المتفوقة على نظيراتها من الطالبات، وتميزها عليهن بحصولها على الجائزة دونهن).

(السلسال الفضي يتكرر مرتين ليقابل السواد المفرد المذكور قبله = دلالة على اختراق النسق/اللون الأسود باللون الفضي المتلألئ باعتباره رمزا للإصرار والصمود والنجاح ومواجهة العوائق).

اللوحة اللونية الثالثة:

الحلم/المتخيل المعدوم/المتخيل المفترض:

هي: (لا تلبس شرابًا أبيضا – ولا حذاءً ليمونيًّا -بل بلوزة بنفسجية منقطة بالأصفر – مقلمة سوداء = للدلالة على وضع اجتماعي راق مقابل لوضع الفتاة المتواضع، ترسم القاصة لوحة لونية هنا – تمثل فتيات ميسورات يمتلكن القدرة على شراء ملابس المدرسة الراقية، وهو ما تفتقده بطلة القصة).

التداعي/ الحلم:

يستمر السرد (ص21) من قصة (في صالة الانتظار) لسهام العريشي، مبرزًا التميز اللوني (السماوي المنقط بالبياض) بمزيجه الجامع بين لون السماء ولون النجوم المختلط بالفرح والأمل والضوء.. وكلها تشكل صورة بهية في لحظة التداعي والحلم لتصطدم بلحظة الوعي حين تظهر الممرضة الفلبينية بملابسها الطبية البيضاء؛ لتغرس إبرتها وتنقل الطفلة البريئة المسكينة من لحظة الحلم الجميل/ الخيال إلى لحظة الواقع واللحظة المريرة/ المرض، فاللون الأبيض في هذا المشهد يرمز للحظة مواجهة الحقيقة والألم وربما الخوف من المتوقع الأسوأ، فيما لو ظهر أن نتيجة الفحص سلبية، وهو ما يمكن إيضاحه في الترسيمة الآتية:

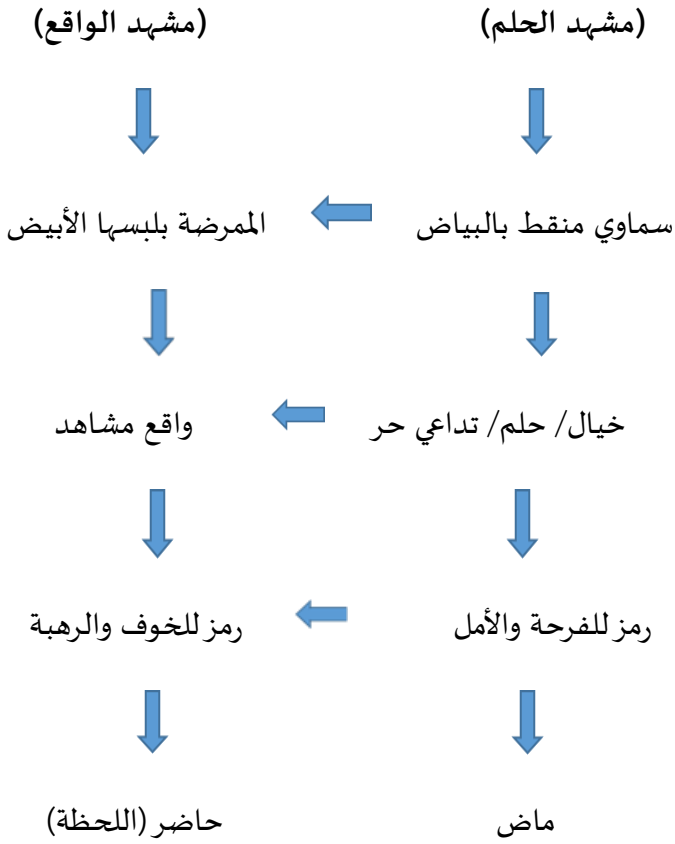

اللوحة اللونية الرابعة:

هي:

"يتلـون الحيـز تـدريجيّا بـالأبيض والـوردي والأحمر القـاني".(تشبه رائحة أمي .. تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار" ، ص21)

(يقظة)

انتقـال الألـوان مـن الأبـيض إلى الأحمر يرمز إلى درجة الخطورة التي تواجهها الطفلة حيث تبدأ بالأبيض لـون الطمأنينـة، ثم الـوردي كرمـز للفرح والراحة وأخيرًا الأحمر الممثل لعلامة الخطر ودخول لحظتها.

"تهوين بعيدًا في ليلٍ مظلم يرتدي قفازين أسودين يضغط بهما على جانبي معدتك..".(تشبه رائحة أمي ..تشبه شجر الجنة"في صالة الانتظار" ص22)

(غياب عن الوعي)

القفازين الأسودين

رمز الرعب والقسوة

تماه بين الحقيقة والحلم في رمزية الرعب وخطورة الموقف والخوف من المجهول

اللوحة اللونية الخامسة:

(أ)

غياب / حلم / تداعي:

"تمـر أمامـك صـورة رجـل الأمـن ذو المنكبين العريضين والقامة التي فضلت أن تنظـري إليهـا مـن بعيـد! تعترفـين لنفسـك أن جهـازه اللاسـلكي الـذي يصـدر تشويشًـا بـين الحـين والآخـر قـد أعجبـك حقًـا. تسـألين نفسـك "لمـاذا بطنـه أكـبر مـن مقـاس حزامـه الأسـود الأنيق؟".(تشبه رائحة أمي ..تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار"، ص22-23)

(ب)

(أ)

حضور:

"أنـت أشـواق".(تشبه رائحة أمي ..تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار" ص22).

(ب)

حضور:

"في أي دور أنـا؟" (تشبه رائحة أمي ..تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار" ، ص32)

(ج)

"تصمتين.. وتواصلين تركيب المكعبات الملونة"/"تبرز أمكِ من بين مكعبين ..".

تشبه رائحة أمي ..تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار" ص23).

(ج)

حضور:

"يسـألك الطبيـب وهـو يرتـدي قفـازه الأبيض ..".

(تشبه رائحة أمي ..تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار" ص23).

ويتجلى التضاد اللوني بين صورة الحزام الأسود الأنيق شادًا للبطن الكبير،وصورة شلالات مطار الرياض والورود الملونة على حوافها وسير الحركة الآلي، وهي رموز متعددة توحي بتناقض الصورة في لا وعي الطفلة "أشواق" وتذبذبها، فقد ظهرت لها الشلالات والورود الملونة بصورة مشوهة كما قالت، لحضور منظر الحزام والبطن، نفسية الطفلة لم تعد تستمتع بالمنظر المدهش لتلك الألوان من الزهور طالما هو مجتمع في مخيلتها وشعورها الداخلي مع اللون الأسود (رمز الخوف وباعثه) الذي يستدعي الظلام ،والرهبة، والوحوش،والهوام.

اللوحة اللونية السادسة:

ويأتي اللون الأبيض في مشهد الوعي الثالث موازيًا للون الأسود في رسم معاني القلق والخوف؛ لأنه التصق بالطبيب الذي هو مبعث الرهبة والرعب عند الطفلة "أشواق" حيث يتفق:

رجل الأمن وحزامه الأسود الأنيق ⟸ مع الطبيب وقفازه الأبيض

يتحد الرمز في اللونين ليبعثا في نفس الطفلة شعورًا موحدًا، على الرغم من شكليهما المتباينين جدًّا، ومن دلالتهما المتناقضة، ومن ثم تتأكد رمزية اللونيين هذه وتناقضاتها المرعبة بواسطة: غياب مشهد الجمال في زهور المطار.

هروب الطفلة "أشواق" إلى حلم آخر تبتعد فيه عن مشاهدة رجل الأمن (ذي الحزام الأسود) والطبيب (ذي القفاز الأبيض) إلى الألوان المتعددة في اللعب بالمكعبات.

لجوؤها إلى وجه أمها واستدعاؤها له كبديل للرجلين؛ ليبرز من بين المكعبات الملونة تلك (وبين مكعبين بالتحديد) حيث تبرز الأم بين رجلين (مكعبين) بوجهها الذي يشع في نفسها فرحة وبشرًا وأمنًا.

اللوحة اللونية الختامية: تتجلى هذه اللوحة في المشهد الأخير، حيث:

يقظة ثابتة: «ولم يتغير مطار الرياض منذ جئته قبل شهرٍ تقريبًا.. لم يتغير أبدًا.... عباءتك أيضًا لم تتغير ولا حذاؤك ولا شعرك الأسود بلمعة الزيت على أطرافه»[49].إن اللون الأسود هنا يأخذ رمزية ودلالة جديدة هي أقرب إلى الثبات والصمود في وجه المحن والمشاق والمصاعب، وهو الشعور المنسحب في اللفظ الدال على الاستمرار والتجدد: «ولا نظرة اللانهائي في عينيك»[50]. وهناك مزاوجة بين نقد الواقع/ المطار وعدم وجود ما يستجد فيه، ونقد الثوب الأسود الملازم لها.

حلم تختلط فيه الألوان: "سيدة فخمة بكعب عالٍ رفيعٍ جدًا بعباءتها التي تبرق أسود وكريستالًا"[51]/"أرضية المطار الذي يتسع ويبيض كالسحاب"[52].فاللوحة المتشكلة من الألوان الثلاثة (الأسود – الكريستال – الأبيض) تمتد بين مسافتين، على نحو ما توضحه الترسيمة الآتية:

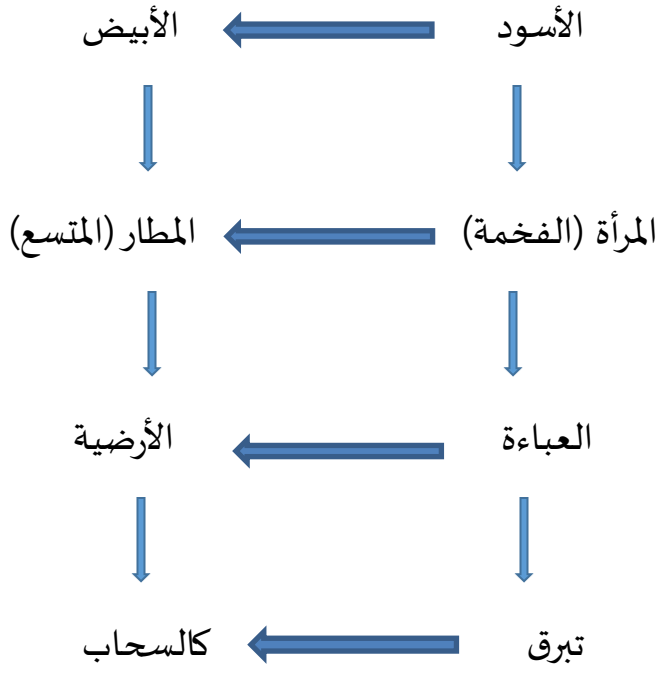

الأسود: يبرق ويتلألأ، والكريستال يزينه بألوان مشعة.

الأبيض: يظهر كالسحاب اتساعًا وجمالًا وضوءًا.

إن رمزية اللونيين في هذا المشهد (الحلمي) تبدو إيجابية، بحيث تعكس نفسية تغالب أوجاعها الواقعية فتفر إلى الحلم/حلم اليقظة؛ لتصنع لنفسها جمالًا رمزيًا من لونين يستحيل الجمع بينهما في الواقع، ومع ذلك جمعت بينهما بفضل مشاعرها المتفردة.

حضـور نـاقص: إن رمزيـة الألـوان بـين الحضـور والغيـاب/ الحلـم والواقـع، والخيـال والحقيقة، تسلم في نهايتها إلى مواجهة الحقيقة والواقع كما هما عليه:"سأعود إلى أمي، لكن هذه المرة بكلية واحدة فقط"[53].

من مجمل ما سبق عرضه يمكن القول: "إن طبيعة الإحساس بالمكان هي التي تدفع الروائي للسعي نحو تعتيمه أو المبالغة في وصف تفاصيله، بصورة ينوء فيها السردي بأشيائه فيمجد أبطال هذا المكان، أو يحط من قدرهم، حسب ما يقتضيه المضمون السردي، وبذلك يتحول الوصف اللوني للمكان إلى مادة روائية مهيمنة، تقوم بدور إيجابي يؤسس لعلاقة تعارض يحمل الرمز اللوني فيها جميع الدلالات اللازمة، وفي هذه الحالة يصبح اللون هو القائد للمعنى في سياقه"[54].

والخلاصة: أن ما سبق عرضه من دلالات لونية تحكمت في هوية الخطاب القصصي لدى الكاتبة "سهام العريشي"؛ يؤكد أن اللون له تأثير حسي خاص، وعلى الرغم من أن الدلالات اللونية تتساوى أحيانًا، فإن رؤية القاصة تكون مختلفة، وهذا ناتج عما يعتريها من إحساسات داخلية تثيرها الألوان؛ لتتشكل مع الحالات النفسية التي تعترض لها ظروف الحدث والزمن السردي،مما يجعلها تسقط هذه الإحساسات على ما يحيط بالشخصيات السردية من أماكن ومتعلقات أخرى.

الهوامش والإحالات:

(*) سهام أحمد العريشي: قاصة وشاعرة سعودية من منطقة جازان، تعمل محاضرة في قسم اللغة الإنجليزيةبجامعة جازان، ومن مؤلفاتها : "تشبه رائحة أمي..تشبه شجر الجنة"، 2014م، مجموعة قصصية عن نادي جازان الأدبي والدار العربية للعلوم ناشرون، و"إلا الثواني الخالدة"،2017،

مجموعة شعرية عن الدار العربية للعلوم ناشرون، ورواية "الشاعر"،2019م، عن نادي جازان الأدبي والدار العربية للعلوم ناشرون.

(1) جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م، ص123.

(2) ينظر: المعجم الأدبي، ص124.

(3) انظر: كوثر القاضي، شعرية السرد في القصة السعودية القصيرة، دار المفردات للنشر، الرياض،1430هـ/2009م، ص 395.

(4) عبدالعزيز المقالح، الدلالات الرمزية في القصة القصيرة، زيد مطيع دماج أنموذجًا، منشورة في موقع دماج على الرابط الآتي:
http://www.dammaj.net/files/article_dr_maqaleh_aldalalt_alramziya_fi_alqisa.htm

(5) نفسه.

(6) انظر: يوسف حسن نوفل، الصورة الشعرية والرمز اللوني، دار المعارف، القاهرة، 1995م، ص13.

(7) مريم إبراهيم غبان، اللون في الرواية السعودية ، دار المفردات للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1430هـ ، 2009م، ص48.

(8) ينظر: الصورة الشعرية والرمز اللوني، ص16.

(9) رنيم موسى شعبان، دلالة الألوان في الرواية النسوية الفلسطينية، جامعة الزهر، غزة . 1438هـ، ص 136.

(10) انظر: سماح شاطري، جدلية اللون والصورة في رواية "بيض الرماد"، جامعة محمد خضيرة، بسكرة، 2015/2014م، ص29.

(11) الصورة الشعرية والرمز اللوني، ص 157.

(12) ينظر: شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، عالم المعرفة، العدد 267، مارس2001، الكويت، ص44.

(13) عبد العزيز المقالح، إيقاع الأزرق والأحمر في موسيقا القصيدة الجديدة، مجلة المعرفة ع 3/2، 1985م، ص 284.

(14) مريم إبراهيم غبان،اللون في الرواية السعودية، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، 1430هـ/2009م، ص159.

(15) طاهر الزواهرة اللون ودلالاته في الشعر،الشعر الأردني نموذجًا، دار الحامد، عمان، 2008م، ص 101.

(16) سهام العريشي، تشبه رائحة أمي .. تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار، نادي جازان الأدبي، 1436هـ، ص19.

(17) نفسه، ص19

(18) نفسه، ص21-22.

(19) نفسه، ص 24.

(20) نفسه، ص24.

(21) نفسه، ص 20 .

(22) نفسه، 20 .

(23) نفسه ص، 22.

(24) اللون في الرواية السعودية، ص190.

(25) صالح الشتيوي رؤى فنية " قراءات في الأدب العباسي " جماليات اللون في شعر بشار بن برد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م، 11.

(26) تشبه رائحة أمي .. تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار" ،ص19.

(27) نفسه، 19.

(28) نفسه، 19.

(29) نفسه، 21.

(30) نفسه، 21.

(31) نفسه، 23.

(32) نفسه، 22.

(33) انظر: اللون في الرواية السعودية، ص155.

(34) نفسه، ص 87 و 193.

(35) تشبه رائحة أمي .. تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار" ص23.

(36) اللون في الرواية السعودية، ص 83.

(37) نفسه، ص 84.

(38) تشبه رائحة أمي .. تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار"، ص20.

(39) نفسه، ص 20.

(40) اللون في الرواية السعودية، ص198-199.

(41) تشبه رائحة أمي .. تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار"،ص22

(42) انظر: اللون في الرواية السعودية، ص202.

(43) تشبه رائحة أمي .. تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار"،ص19.

(44) نفسه، ص 19.

(45) يحيى حمودة، نظرية اللون، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص136.

(46) سهام العريشي،تشبه رائحة أمي .. تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار"، ص 21.

(47) مريم إبراهيم غبان،اللون في الرواية السعودية، ص81.

(48) نفسه، ص 82.

(49) تشبه رائحة أمي ..تشبه شجر الجنة "في صالة الانتظار" ،ص24.

(50) نفسه، ص 24.

(51) نفسه، ص 24.

(52) نفسه، ص 22.

(53) نفسه، ص 25.

(54) اللون في الرواية السعودية، ص100.